أَنَّه حضر مجلسك بعضُ الأولياء، فسألني فيك فشفَّعته لعذَّبتك. قال: فعاش أياماً، ومات.

وكانت وفاة بهاء الدِّين ليلة الخميس رابع وعشرين ذي الحِجَّة، ودُفِنَ يوم الخميس بالقرافة، [وحملت جنازته على الأصابع، ودفن][1] قريباً من روزبهان.

السنة الخمسون وست مئة

فيها وصل التَّتر إلى الجزيرة، ونهبوا ديار بكر ومَيَّافارِقِين، وجاؤوا إلى رأس عين وسَرُوج وغيرها، وقتلوا زيادةً على عشرة آلاف، وصادفوا قافلةً خرجت من حَرَّان تقصد بغداد بين رأس عين وحَرَّان، فأخذوا منها أموالاً عظيمة، منها ستّ مئة حِمْل سُكَّر ومعمول مصر، وست مئة ألف دينار، وقتلوا الشُّيوخ والعجائز، وساقوا من النِّساء والصبيان ما أرادوا، ورجعوا إلى خِلاط، وقَطَعَ أهلُ الشرق الفرات، وخاض الناس في القتلى من دُنَيْسر إلى الفرات، [وحكى لي][1] بعضُ التجار [قال][1]: عددت على جسرٍ بين حَرَّان ورأس عين في مكانٍ واحد ثلاث مئة وثمانين قتيلاً.

وحجَّ النَّاس من بغداد بعد عشر سنين بَطَلَ الحجُّ فيها؛ منذ مات المستنصر وإلى هذه السنة.

وفيها توفي

شمس الدين محمد بن سَعْد، الكاتب المقدسي[2]

نشأ بقاسيون على الخير والصَّلاح، وقرأ القرآن والنحو والعربية، وسمع الحديث الكثير، وكان مكيناً دَيِّناً، وبَرَعَ في علم الأدب، وحُسْن الخَطِّ، وكتب للصَّالح إسماعيل والنَّاصر داود، وكان دَيِّناً، فاضلاً شاعراً، [[3]وأنشدني قصيدة، وكتبها لي بخطه لما تفاقم ظلم السامري ونوابه، وكتب بها إلى الصالح إسماعيل، ولو كتبت بماء الذهب على الأحداق لكان ذلك أقل من القليل، وهي هذه الأبيات]: [من البسيط]

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ٣/ ٩١-٩٢، و«عيون التواريخ»: ٢/ ٦٧، و«فوات الوفيات»: ٣/ ٣٥٨، و«نزهة الأنام»: ٢١٤ـ٢١٥، و«النجوم الزاهرة»: ٧/ ٢٦ـ٢٧، و«شذرات الذهب»: ٥/ ٢٥٣.

(٣) في (ت): ومن شعره وكتب بها إلى الصالح إسماعيل، وما بين حاصرتين من (ش).

يا مالكاً لم أجدْ لي من نصيحته ... بُدًّا وفيها دمي أخشاه منسفكا
اسمعْ نصيحة مَنْ أَوْلَيْتَه نِعَماً ... يخافُ كُفْرانَها إن كُفَّ أو تُركا
والله ما امتدَّ مُلْكٌ مَدَّ مالِكُهُ ... على رعيَّته مِنْ ظُلْمِهِ شَبَكا
ترى الحسودَ به مُسْتبشراً فَرِحاً ... مستغرباً من بوادي أمره ضحكا
وزيره ابن غزال والرَّفيع به ... قاضي القضاة ووالي حربه ابن بكا
وثعلبٌ وفُضيل مَنْ هما وهما ... أهل المشورة فيها ضاق أو ضَنُكا
جماعة بهم الآفاتُ قد نُشِرَتْ ... والشَّرْعُ قد ماتَ والإسلامُ قد هلكا
ما راقبوا الله في سرٍّ وفي عَلَنٍ ... وإنما يرقبون النَّجْمَ والفلكا
وإنما قلد الملك الخصيص به ... من همه عزله عنه ومن فركا
ومن عداوته أصليةٍ وله ... من البطانة فيما يبتغي شُركا
والآن قد حكموا واستوثقوا حلفاً ... وصيَّروك لهم في صيدهم شَركا
إن كان خيراً ورزقاً واسعاً فلهم ... أو كان شراً وأمراً سيئاً فلكا
وقد نصحتُ فَقُمْ واقبل نصيحة مَنْ ... ما مَان في قوله خُرْقاً ولا أَفَكَا
واستدرك الأمر واستر ما جنوه بهم ... تلقَ الرَّشادَ وإن أصررت منهمكا
فعن قريبٍ ترى آثار فعلهمُ ... فيهمْ وفيك إذا ما سِتْرهم هُتكا

[قلت: يرحم الله قائلها، فقد كان ينظر من ستر رفيع، وهذا من جملة التوفيق، وأما ابن غزال فهو السامري، و][1] ثعلب وفضيل منجمان كانا قد استوليا على الصَّالح إسماعيل [، وحسَّنا له كل فعل قبيح شنيع رذيل، فما نفعتهم النجوم، وأبادهم الحيُّ القيوم، وكانت وفاته][1] في صفر، ودفن بقاسيون قريباً من الشيخ أبي عمر.

جمال الدِّين بن مطروح[2]

كان فاضلاً، كَيِّساً، شاعراً، ومن شعره لما فتح النَّاصر داود بُرْج داود بالقُدْس وأخربه، وأخرج الفرنج منه: [من السريع]

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «وفيات الأعيان»: ٦/ ٢٥٨ـ٢٦٦، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٣/ ٢٧٣ـ٢٧٤، وعندهما وفاته سنة (٦٤٩هـ)، وهو الصحيح في وفاته، لأن ابن خلكان شهد جنازته، انظر تتمة مصادر ترجمته في «المذيل على الروضتين»: ٢/ ١٠١.

المسجدُ الأقصى له عادةٌ ... سارتْ فصارتْ مَثَلاً سائرا
إذا غدا للكُفْر مستوطَناً ... أن يبعث الله له ناصرا
فناصرٌ طهَّره أوَّلاً ... وناصر طهَّره آخرا

[ومن شعر أيضاً رضي الله عنه:

لا عاش الغزال ولا بقي

وهو شعر ركيك][1].

وتوفي في شعبان بمصر، ودُفِنَ بسارية في القرافة، وكانت له جِنازةٌ عظيمة، وكان قد دَخَلَ بين الخوارزمية والصَّالح أيوب، واستنابه أيوب بالشَّام، ولبس ثياب الجُنْد، وما كانت تليق به، وغَضِبَ عليه، ودحضه، وأعرض عنه إلى أن مات.

ولما وصل تورانشاه [إلى ديار مصر][1] أعرض عنه بالكُلِّية، فأقام خاملاً إلى أن مات، فرحمه الله، لقد كان جَوَاداً، ذا مروءة، متعصِّباً، سَمْحاً حليماً، حسنَ النظر بالفقراء، عارفاً بفَضْل العلماء.

السنة الحادية والخمسون وست مئة

فيها دخل نجمُ الدِّين الباذرائي بين العَسْكرين، وتولى إصلاح الفريقين، وكانت الحرب قد ضَرَّسَتِ الجمعين، [وخصوصاً عسكر الشام، والله تعالى يؤيد الإسلام، ويجري أموره على أحسن نظام][1]، وقَدِمَ ابنُ الباذرائي والنَّظام بن المولى القاهرة، وحلَّفوا الملك والأمراء، وخلَّصوا المعظم، وأخاه النصرة، وابن صاحب حمص، والأمراء وغيرهم، وبنت الأشرف، وأولاد الصَّالح إسماعيل.

[وفيها توفي

القاضي صدر الدين الحنفي؛ قاضي آمد.

كان فاضلاً، عارفاً بالمذاهب، كيِّساً، لطيفاً، متعصباً، ذا مروءة، حسن الوجه، بشوشاً، وكانت وفاته في صفر بالقاهرة][1].

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).